

في الأدب الإنجليزي

الكائنات الغيبية

في شعر شكسبير

The Supernatural

بقلم خيرى حماد

مقدمة :

لا شك في أن عبقرية شكسبير ظهرت في مناحى عدة وصور مختلفة ، وليس من السهل على أى شخص مهما كانت نزعة ومهما تباينت عقليته أن ينكر أن شكسبير هو شاعر بريطانيا الأعظم وكبير من كبار الشعراء العالميين ، ولكن وبالأسف اختلف النقاد في انكثرتا وفي غيرها من بلدان العالم في تحديد الدرجة الممتازة التي وصل إليها هذا الشاعر . فاعتبره البعض أعظم شاعر بزغ نجمه على هذه البسيطة لافي عصره غيب ، بل في المصور التي سبقته أو تلته . وأنكر البعض الآخر هذا الادعاء ونجملوا عليه تجملاً ظاهراً ، معتقدين أن عظمته لا تفوق

التي ألقاها في الجامعات الهندية في فلسفة الآلهيات إلى اللغة الألمانية وفي إيطاليا نشر العالم الطلياني الكبير الدكتور اسكاريا الذي زار أمانستان والهند وقابل الدكتور اقبال مقالات عن شعر اقبال في مجلة أدبية ايطالية

وفي إنجلترا ترجم الدكتور نكلسون ديوانه « أسرار الأنانية » وجزاً من ديوانه « رسالة الشرق » إلى الإنجليزية ونشرهما فذاع بهما صيت الدكتور في أمريكا وبلاد أخرى أيضاً ، ونوهت أدبية العلم والأدب والجرائد والمجلات العلمية والأدبية بشعره ، وكتب عن « أسرار الأنانية » المرحوم الدكتور براون المستشرق الإنجليزي الشهير في مجلة الجمعية الآسيوية الملكية ، وأيضاً نوه بإقبال وشعره في تصنيفه تاريخ الأدب الفارسي في المجلد الرابع منه

وفي أمريكا صنف العالم الأمريكي الجليل ميكزي كتاباً أسماه « بقطة الهند » فنوه فيه بإقبال وشعره ونظرياته وفلسفته

السيد أبر النصر أحمد الحسيني الهندي

في أية ناحية من نواحيها عظمة جوتى الألمان ودانتى الايطالى إن من الصعب أن أبرهن في هذه المجال على عظمة شكسبير وتبريزه على غيره من شعراء العالم ، ولم أقصد فيها إلا البحث في ناحية واحدة من مناحى تفكيره العميق وخياله المبدع الذي تناول بواسطته جميع نواحي الحياة من عقائد وتقاليد فدونها في شعره ورواياته . نعم كان من الصعب عليه أن يوفق بين عقائده الشخصية وبين عقائد مجتمعه البشرى ، ولكنه خرج من هذا الميدان مكللاً بأكاليل من النار وتيجان من الظفر

لم تكن الخرافات والشيئات (Supernaturalism) عقيدة راسخة في تفكير شاعرنا ؛ فقد كان دائم الاضطراب والشك في هذه الناحية من مناحى الغموض والخفاء العقلين . لقد حاول في رواياته أن يعتمد عن العقائد الشائعة العامة ، ولكنه لم يستطع ذلك لتخوفه من الرأي العام السائد في تلك الأيام الرهيبة

عقائده الدينية :

ولد شكسبير سنة ١٥٦٤ إبان الدور الأول من حكم الملكة اليبسات في عصر اشتد فيه النزاع الديني واختلفت فيه العقائد ، حتى أصبحت مصدر شقاء وينبوع استبداد ساد انكثرتا قرناً من الزمان . ولتراجع في الفقرات التالية صفحات التاريخ فنرى كيف انتشرت البروتستنتية في انكثرتا ، وبأية صورة كانت نشوؤها وتطورها

كلنا يعرف أن الملك هنرى الثامن أراد طلاق امرأته الاسبانية كاترين لمشقه غادة من غادات البلاط ، كانوا يسمونها (آن بولين) ولم يكن في الامكان في ذلك العصر تحقيق تلك الرغبة الجامحة ، فما وسع هنرى إلا أن يحدث نزاعاً اشتد أمره مع رئيس الكنيسة الأعلى وحامى حماها في الشرق والغرب . طغت عليه الروح الاستبدادية روح العظمة والتفوق ، فعدته نفسه بالانفصال عن كنيسة رومة ، ولم يلبث أن أعلن ذلك الانفصال ونسب نفسه رئيساً أعلى للكنيسة الانكاثرتية

ولم تكن هذه الحركة في بدء أمرها إلا حركة سياسية محضة لم يشها شائب من الدين والعقائد ، ولكن ما لبث أن قارق هنرى دنياه ونسب ولده الطفل أودرد ملكاً على عرش بريطانيا ، فكان له من الأنصار والساعدين نفر اشبهت نفوسهم بروح البروتستنتية فأعلنوا أن الكنيسة الانكاثرتية قد عدت منفصلة

التي تتناول سيرة الملك يوحنا (King John) تمد في حد ذاتها أكثر الروايات تحاملاً على البابوية والكنيسة. وعلى الرغم من ازدياد نفوذ البابوية في هذه الأيام وتفوقها على السلطة الزمنية ترى عدداً قليلاً من الملوك يضربون بسلطتها عرض الحائط ويحاولون نزع نير العبودية عن عواقبهم، فكثيراً ما تمرضوا لوكلاء البابا وممثليه وأخشوا لهم القول غير هيايين ولا وجلين. دعنا نمرض الأقوال الجريئة التي فاه بها الملك يوحنا مجيئاً على تدخل البابا في مسائل سياسية لا تعنيه شيئاً فهو يقول:

هل يمكن لأي رجل دنيوي مهما علت سلطته وارتفعت منزلته أن يعارض إرادة الملوك المقدسة؟ فليس باستطاعتك أيها الكردينال أن تضطرنني إلى إطاعة رجل حقير لا يسعني إلا الاستهزاء به. اذهب إلى سيدك البابا وأخبره ما سمعتك من قارص الحكم وزد على ذلك أن ليس لأي قسيس لإبطال أي تدخل في المسائل الانكليزية، ومادمتنا بعيشة الله وإرادته قد وجدنا رؤساء لهذه الأمة فلنا الحق وحدنا في السير بها حسبنا نشاء ونرغب دون أية مساعدة من إنسان. قل له إن ذلك الاحترام وإن تلك السلطة الناشئة قد تقاوس ظلها منذ مدة» (١)

وفي خطاب آخر من نفس الرواية يمدد الملك يوحنا المساوي الكثير التي كانت الكنيسة تتصف بها في هذه العصور. فالبابا أصبح رجلاً ماجوراً يمكن للملوك أن يستخدموه إذا رشوه بالكثير من الأموال، فليس من واجب الملوك أن يطيعوا رجلاً كهذا الرجل، وهذه النظرية تبين لنا في مواضع عدة من روايات شكسبير فهو يتخذ من البابا أداة للسخرية والمهزء في رواية تيتس أندرونيكس (Titus Andronicus) إذ يقول:

«إني لأعلم تمام العلم أنك رجل وفي ورع تعمل بين جنبيك نفساً طاهرة وضميراً حياً، وأن لك حيلة تماثل الحيل المدينة التي يتبعها البابا في بسط نفوذه وجمع ثروته» (٢)

ضميرى محار

يجمع

تمام الانفصال عن الكنيسة الكاثوليكية ووضعوا كتابين من كتب الصلاة ليقرأ في الكنائس بدلاً من الكتب القديمة حركة جريئة أعقبها فترة إحجام ورد فعل. مات إدورد فتبوت ماري تيودور المرش، وكان لتربيتها الكاثوليكية أثر عظيم في نفسها مالبث أن دفعها للإعلان عن فساد جميع القوانين التي ظهرت في عهد سلفها، وعن رجوع الكنيسة الانكليزية إلى الحضيرة الكاثوليكية. ولتحقيق تلك الرغبة في نفسها سنت قانوناً تخم فيه على كل قس أو راهب أن يرجع إلى الحضيرة القديمة وإلا كان جزاؤه الموت والمذاب

أخيراً انتقلت تلك الملكة الناشئة إلى جوار ربها وارتقت العصابات المرش. ونظراً لروحها الاستقلالية وإيها إلى الطموح والمغلة لم تلبث أن أعلنت بعد مرور سنة من تسنها المرش. الانفصال التام عن الكنيسة البابوية وتنصيبها نفسها رئيسة عليا للكنيسة الانكليزية.

لرأيت لنا الاطلاع على كثير من الرسائل الشخصية التي كتبها الشاعر العظيم لأصدقائه وأخذانه لأمكننا الوقوف على عقائده وأفكاره الدينية، هناك أمور عدة تحملنا على الاعتقاد بأن شكسبير كان رجلاً دينياً خيراً، ولكن حرية فكره كانت سبباً دائماً في انشغاله بأسئلة لا حد لها عن الموت والحياة غير متأثر بالمقائد الدينية السائدة في عصره. كان والده بروستنتياً متطرفاً، فلا بدع أن نراه متأثراً أثر والده، متحاملاً على البابوية والكنيسة أشد التحامل وأقساه. وبرغم هذا التحامل الظاهر فإن الكنيسة البابوية ادعت في كثير من الظروف والأحيان ابناً باراً من أبنائها وعلماً من أبرز أعلامها. واستندوا في إبداءاتهم هذه على كثير من البراهين والحجج التي إن لم تكن ضئيفة في حد ذاتها، فلا تصل إلى تلك الدرجة من الاقتناع التي يتوخونها ويطلبونها

قد نستطيع من دراستنا لروايات هذا الشاعر أن نحدد المقائد التي كان يؤمن بها. فلقد صور في هذه الروايات عدداً كبيراً من رجال الدين أمثال الراهب فرنسيس والراهب لورنس، وكان في كل صورة من أمثال هذه العصور يتوخى التبجيل والاحترام لرجال الأكليروس. إلا أن هذه النظرة وهذا الاحترام لم يتجاوزا طبقة الرهبان إلى طبقة البابوات؛ فروايته التاريخية

(1) King John . Act . III . Sc . I . 147 — 160

(2) Titus Andronicus V . I . 74 — 78